

برعاية الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية العربية السورية للشؤون الثقافية

بالتعاون مع مركز الدراسات والأبحاث المشرقية-بيروت

ومجلس رؤساء الطوائف المسيحية بحلب

مؤتمر التراث السرياني الحادي عشر

- مار أفرام شاعرًا لأيامنا -

حلب - مديرية الثقافة

١١-١٤ أيار ٢٠٠٦

## القدّيس إفرام في الأدب المسيحيّ اليونانيّ

المطران د. بولس يازجي

متروبوليت حلب والاسكندرون وتوابعهما للروم الأرثوذكس

P.B. 6976 ALEPPO - SYRIE - TEL: +963 21 4660670 - FAX: +963 21 4660671

-WEBSITE: WWW.ALEPPORTHODOX.ORG E-MAIL: SECRETARY@ALEPPORTHODOX.ORG

حلب ٢٠٠٦

## القديس إفرام في الأدب المسيحي اليوناني<sup>١</sup>

### مقدمة

رغم أن إفرام كان سرياني الأصول واللغة، ولم يعرف اللغة اليونانية، إلا أن دراسة مؤلفاته التي تُرجمت إلى اليونانية تحتل أهمية خاصة للأسباب التالية:

أولاً: لأنّ كتابات إفرام تُسيت لفترة طويلة بسبب الفتح العربي وانتشار اللغة العربية مكان السريانية، ولم تعد تُنسخ مؤلفاته السريانية. وصار إفرام يُقرأ غالباً من الترجمات اليونانية. هكذا كان إفرام يُقرأ في العالم اليوناني أكثر منه في العالم العربي أو السرياني<sup>٢</sup>.

وثانياً: لأنّه عن هذه الترجمة اليونانية صارت الترجمات الهامة للغات الأخرى مثل اللاتينية والقبطية والآرامية والأرمنية والجيورجية والعربية والأثيوبية.

سوف نركّز اهتمامنا في هذا البحث الصغير على التقاط المميّزة في النصوص اليونانية عن تلك التي في النصوص السريانية. ولا بدّ من التوقّف عند بعض الأمور المشتركة الأساسية ليقى للبحث توصله.

يبدأ البحث بمقدمة، ثم يتناول حياة القديس في المصادر اليونانية المترجمة عن السريانية ويتناول أغلب الآباء الذين يذكرون القديس إفرام، ثمّ يعرّج باختصارٍ شديد على لاهوته، وأخيراً يتطرّق للترجمات اليونانية حصراً، منوهاً لمسألة "إفرام اليوناني" كما سنجدّها في نهاية البحث.

حاولنا أن نحصر قدر الإمكان مراجعنا بالمراجع اليونانية، حيث أنّ هذه المواضيع السابق ذكرها مدروسة بشكلٍ واسع من المراجع الأجنبية الأخرى. وتطرّق عند الضرورة فقط إلى المراجع باللغات الأخرى.

أمران لم يساعدا على تبوؤ إفرام الصدارة بين الآباء الكبار، رغم غناه واستحقاقه، وهما:

أولاً: أنّه كتب باللغة السريانية في زمن كانت اللغة العالمية للثقافة هي اللغة اليونانية.

ثانياً: أنّ كتاباته كانت شعرية وتستخدم الرمز مما جعل ترجمتها أمراً شائكاً<sup>٣</sup>.

ورغم ذلك كلّه يبقى إفرام الأب الأعذب والأكثر مطالعةً في العالم اليوناني الرهباني والروحيّ بخاصّة.

<sup>١</sup> مداخلة أُلقيت في مؤتمر التراث السرياني الحادي عشر: القديس إفرام في الأدب المسيحيّ اليوناني، برعاية الدكتورة نجاح العطار نائب رئيس الجمهورية

العربية السورية للشؤون الثقافية بالتعاون مع مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، بيروت ومجلس رؤساء الطوائف المسيحية، مار إفرام شاعرًا لأيامنا،

حلب، مديرية الثقافة ١١-١٤ أيار ٢٠٠٦.

<sup>٢</sup> Παπαδοπούλου, Στυλιανού, *Πατρολογία Β'*, Αθήνα 1990, σσ.332-5.

<sup>٣</sup> Khalifé, P. Elie, *Εφραίμ ο Σύρος*, (not published), σ.1.

## I . حياته

كلمة إفرام تعني "خصب"، مما يميّز حياته الداخليّة والخارجيّة. لم تمنعه اللّغة من أن يصبح مشهوراً في الشرق والغرب حتّى في حياته، إذ لنا أكثر من دليل أنّ قسماً كبيراً من مؤلّفاته تُرجم في القرن الرابع إلى اليونانيّة واللاتينيّة<sup>٤</sup>.

هناك عدم دقّة ووضوح في كثيرٍ من أحداث حياته وأعماله. مما اضطرّ البحاثة دائماً للتمييز بين ما هو منحولٌ وأصليٌّ من كتاباته<sup>٥</sup>.

وُلد إفرام بين (٣٠٥-٣٠٧ م) في نصيبين، على الحدود بين الإمبراطوريّتين الرومانيّة والفارسيّة، في تاريخٍ عصيبٍ للكنيسة السريانيّة التي كانت تعاني من خلافاتٍ داخليّة من جهة، وتهديدٍ خارجيٍّ فارسيٍّ دائمٍ من جهةٍ أخرى. وإذا كانت النصوص اليونانيّة تفيد أنه وُلد من عائلةٍ مسيحيّةٍ فقيرة<sup>٦</sup>، فإنّ قصّة حياته في السريانيّة تورّد أنّ والده كان وثنيّاً<sup>٧</sup>، لكنّه هو نفسه يقول إنّّه من سلالة شهداء<sup>٨</sup>.

عاش إفرام في منطقةٍ مسيحيّةٍ عريقةٍ في شمال شرقي سوريا حول مدينتي نصيبين والرّها حيث انتشر عددٌ كبير من الأماكن المقدّسة الزاخرة برفات القديسين. وعرفنا مدرسةً لاهوتيّةً كبيرةً في مدينة الرّها، أورفا اليوم أو إيديسا قديماً، حيث كان القديس يعظ ويعلم. كانت مدينة إيديسا مركزاً ثقافياً وإدارياً في الإمبراطوريّة الرومانيّة، تقع على طريق أنطاكية والهند. أمضى فيها القديس بقية حياته (٣٦٣-٣٧٣) وذلك في ديرٍ بالقرب منها حيث أنشأ مدرسة لاهوتيّةً شهيرة. كما عمل أيضاً إلى جانب الأساقفة كشماسٍ وواعظ<sup>٩</sup>.

<sup>٤</sup> القديس إفرام السرياني، مقالاتٌ روحيّةٌ وخبوعيّةٌ، تعريب الأب إفرام كريباكوس، منشورات التراث الأبائي، دير مار مخائيل بسكتنا، لبنان ٢٠٠٤، ص II.

<sup>٥</sup> De Halleux, André, Mar Ephrem Théologien, XVI-CSE, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban 1973, p.35. Hemmerdinger-Ηλιάδου, Δημοκρατία, EPHREM, Ephrem Grec, DS, t.IV, partie première, Paris 1960, p.801. Παπαδόπουλου, Στυλιανού, «Εφραίμ ο Σύρος», ΘΗΕ, τ.5, Αθήναι 1964, σσ.334-5. "Comme le problème homérique est à la tête de l'histoire de la littérature grecque, de même à la tête de la littérature syriacque se trouve Ephrem". Vööbus, A., Literary Critical and Historical Studies in Ephraem the Syrian, Stockholm 1958. Iliadou, Ephrem, Version Grecque, Latine et Slave, EEBΣ, τ.42 (1975), p.327.

<sup>٦</sup> Εφραίμ του Σύρου, Έργα, τ.1, "Ελεγχος εαυτώ...", σ.321.

<sup>٧</sup> سوزومينوس، [Εκκλησιαστική Ιστορία, 3, 16, PG 67, 3, 16].

<sup>٨</sup> Vööbus, A., History of Ascetism in the Syrian Orient, Vol.2, Louvain 1960, pp.84-85. Brock, Sebastian, St Ephrem the Syrian, Hymns on Paradise, SVS Press, N.Y. 1998, pp.8-9.

<sup>٩</sup> Έλεγχος εαυτού και Εξομολόγησις, τ.1, σ. 321.

<sup>١٠</sup> القديس إفرام السرياني، مقالاتٌ روحيّةٌ وخبوعيّةٌ، المرجع السابق، ص II.

كان شماساً وعلم في مدرسة نصيبين الشهيرة آنذاك وخدم في زمن عددٍ من الأساقفة نذكر منهم: يعقوب وهو واحد من آباء المجمع المسكوني الأول (٣١٨)؛ وفي زمن فافو (Βαβού) (٣٣٨-٣٥٠) ثم بولويزي (Βολογέζι) (٣٥٠-٣٦١) وإبراهيم (٣٦١).<sup>١١</sup>

بعد وفاة يوليان الجاحد، سقطت نصيبين بيد الفرس عام (٣٦٣ م)، فغادرها إفرام إلى إيديسا (Εδεσσα)، التي كانت شهيرة آنذاك بمركزها العلمي وبالنسك العديدين الذين كانوا يعيشون في الجبال المحيطة بها.<sup>١٢</sup>

هناك كتب إفرام الكثير من مؤلفاته. لهذا جاءت كتاباته متأثرةً بشكل واضح بالعالم اليوناني وبعض الهرطقات أمثال: آريوس (Άριος)، ماني (Μάνη)، بارديسياني (Βαρδισιάνη) ومارقيون (Μαρκίωνα)، التي كانت منتشرة في تلك المدينة.<sup>١٣</sup> وبقي إفرام في إيديسا حتى وفاته عام (٣٧٣ م).

### تنسكه

يعتقد بحجّة معاصرون أنّ إفرام لم يكن متوحداً، وإنما مارس حياته النسكية كشماسٍ في خدمة الكنيسة يعلم في مدارسها، في نصيبين أولاً وفي إيديسا لاحقاً، وذلك بالاستناد إلى النصوص السريانية.<sup>١٤</sup> من بين هؤلاء يرى Dom Outtier أنّ بلاذيرس (Παλλάδιος) قد أدخل فكرة توحيد إفرام في البرية وذلك من خلال محاولته مقارنة إفرام مع إفاغريوس بخصوص حديثه عن مراحل الكمال الثلاث، الأمر الذي يتطلب هدوئية البرية. لكننا نعرف أنّ بلاذيرس كتب عن أمور شاهدها هو بنفسه.<sup>١٥</sup> ويسود اعتقاد آخر عند البعض أنّ إفرام توحد في البرية على مراحل وليس طيلة حياته.<sup>١٦</sup> أمّا الرواية السريانية فتورد أنّ إفرام صار متوحداً بعد ذهابه إلى إيديسا.<sup>١٧</sup> ويرى Vööbus أنّ إفرام مارس النسك والبتولية لكنّه لم يرحل إلى البرية بل بقي

<sup>11</sup> Brock, Sebastian, *St Ephrem the Syrian, Hymn on Paradise*, op.cit., pp.9-10.

<sup>12</sup> Outtier, Dom, *Saint Ephrem d'après ses Biographies et ses oeuvres, XVI-CSE*, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban 1973, p.13.

<sup>13</sup> Brock, Sebastian, *St Ephrem the Syrian, Hymns on Paradise*, op.cit., p.11. Graffin, François, *Introduction et Notes, Ephrem de Nisibe, Hymnes sur le Paradis*, Traduction René Lavenant, SC 137, Ed. du Cerf, Paris 1986, p.7.

<sup>14</sup> Outtier, Dom, op.cit, pp.12-26. Leloir, Louis, *L'actualité du Message d'Ephrem, XVI-CSE*, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban 1973, p.62. Vööbus, A., *History of the school of Ninibis, CSCO*, Louvain 1965, pp.8-9.

<sup>15</sup> *Προλόγος*, PG 34, 1292 AB.

<sup>16</sup> Leloir, Louis, *L'actualité du Message d'Ephrem*, op.cit, p.62. Vööbus, A., *History of Asceticism in The Syrian Orient*, t.2, op.cit, pp.90-1. Outtier, Dom, op.cit, p.13.

<sup>17</sup> *Acta Ephraemi*, p.34. Vööbus A., *History of Asceticism in the Syrian Orient*, t.2, op.cit., p.85. *Vita Syriac*, 117, 189v. Amar, J. P., *Byzantine Ascetic Monachism and Greek Bias in the Tradition of Ephrem the Syrian, OCP*, t.58 (1992), p.126.

ضمن الجماعة الكنسيّة بسبب الواقع الذي فرضه وجود البدع العديدة آنذاك<sup>18</sup>. يُعتبر إفرام من طغمة "أبناء العهد"، التي كان أتباعها يحفظون البتوليّة والفقير. وقد ظهرت في كتاباته الأهميّة الخاصّة التي أولاهها للبتوليّة<sup>19</sup>.

### سيرته

لم تظهر تقوى القديس إفرام في حبه وتعبدّه لله ونسكه وحسب، وإثماً أيضاً في محبته للناس، فقد كان دائماً جاهزاً لترك وحدته وحماية رعيّة المسيح المهذّدة من الذئاب الخاطفة، كلّما استدعت الحاجة. فالمصلّي الحقيقيّ يحمل العالم كلّهُ في دموعه، من حبه للجميع.

في زمن يوليان الجاحد (٣٦١-٣٦٣ م) بدأت الهجمات الفارسية على بلاد ما بين النهرين، وحاصر نصيبينَ الملكُ سابور (Σαπώρ) الثاني (٣٠٩-٣٧٩ م)، فانضمَّ إفرام إلى الرعيّة يشدّدها. بعد موت الأسقف يعقوب (٣٦٣ م)، سقطت نصيبين في يد الفرس، وتهدّمت مدرستها وارتحل معظم سكانها ومن بينهم إفرام إلى إيديسا، تلك المدينة التي كان إفرام يعتبرها مباركة من تلامذة المسيح مباشرة ("العُهدَة" - Διαθήκη).

ويعزو القديس غريغوريوس النيصصي مجيء إفرام إلى إيديسا لسببين: الأوّل، للسّجود لبقايا القديس التلميذ تاذيوس؛ والثاني للاتصال برجال علماء لينهل منهم المعرفة<sup>20</sup>. أمّا إفاغوريوس فيعتبر أنّ سبب مجيء إفرام إلى إيديسا يعود للسّجود لأيقونة المسيح غير المصنوعة بيد<sup>21</sup>. منذ وصوله إلى إيديسا، وجد إفرام لنفسه عملاً حتّى لا يكون عالّةً على أحد، فخدم في أحد الحمامات. أمّا خارج أوقات العمل فكان يعظ ويشتر الوثنيّين. لكنّه بناءً على نصيحة يوليان (Ιουλιανός) ترك المدينة إلى جبلٍ منعزل للتفرّغ للنسك والصلاة. ولم يمض وقت طويل حتّى اكتشف يوليان أن لا أحد يملك موهبة التعليم كإفرام<sup>22</sup>.

شرع إفرام بتفسير "الأسفار الخمسة الموسويّة" وذلك باللّغة السريانيّة. ولقد لفتَ هذا العملُ نظرَ الكثيرين في إيديسا وصاروا يقصدون إفرام، لهذا اضطرَّ أن يطلب الوحدة بعيداً عن البشر. كاتب سيرته السريانيّ يفيد أنّ ملاكاً ظهر لإفرام وسأله:

- يا إفرام، أين تذهب؟

- أطلبُ حياةً الهدوء والوحدة، وأتجنّب الضجيج والناس.

<sup>18</sup> Vööbus A., *History of Asceticism in the Syrian Orient*, t.2, op.cit., pp.90-1.

<sup>19</sup> Leloir, Louis, *Doctrines et Méthodes de St Ephrem*, CSCO, t.220, Louvain, 1961, p.56. Leloir, Louis, *La pensée Monastique d'Ephrem et Martyrius*, pp.84-5. Leloir, Louis, *L'actualité du Message d'Ephrem*, op.cit, pp.66-8.

<sup>20</sup> غريغوريوس النيصصي، [Εγκώμιον, PG 46, 833].

<sup>21</sup> إفاغوريوس، [D, 27].

<sup>22</sup> إفرام السرياني، [Λόγος εις Ιουλιανόν]. غريغوريوس النيصصي، [Εγκώμιον].

- فأجاب الملاك: انتبه يا إفرام لئلا تنطبق عليك كلمات الكتاب أنك "كالفدان الذي يتملص من حمل النير على كاهله". فعاد إفرام إلى التعليم والخدمة التي دعاه الله إليها. علم شفاهاً وتأليفاً. ولكي يسهل عمل التعليم فتح في إيديسا مدرسة، حيث درس الكثير من أهلها ولمعوا فيما بعد كأساتذة مرموقين. ومن بين تلامذته ترد في "العهد" (Διαθήκη) أسماء ابراهيم، سمعان، وماراس (Μάρας) وزنوبيوس.

أما الحديث عن تنسك إفرام في الأديار المصرية الكبيرة فلا نجد له استناداً في المصادر اليونانية. على الأرجح أن إفرام، بعد بلوغه شوطاً في الخبرة الروحية والنسك، قام مع أحد تلامذته الذين يعرفون اليونانية بزيارة مصر وأديارها للتعرف على النسك هناك. وقد تم استقباله باحترام كبير، بحسب كاتب سيرته السرياني.

يوحنا كولوفوس (Κολοβός)، كاتب سيرة القديس بايسيوس الكبير، يذكر محادثات هذا الأخير مع "الأب والناسك الأعظم بين السريان" في "أقوال الآباء الشيوخ" (Αποφθέγματα των Γερόντων Αγίων) ويقول: "جاءنا هنا رجل الله، سرياني، شيخ كبير بين الآباء، مستنير القلب والذهن". كما زار إفرام آباءً نساكاً مصريين آخرين، وطارت شهرته بينهم "كرجل مستنير بالروح القدس"، وكتب هناك مقالته "أقوال تشجيعية للرهبان المصريين"، وذلك لمساعدة رهبان مصر كما يتبين من العنوان، (Λόγος παραινετικός προς τους κατ' Αίγυπτον μοναχούς)، ولكن هو أيضاً ازداد خبرة منهم. لقد كانت زيارته إلى مصر كافتقاد المعلم، الذي قاوم أيضاً الهرطقات كالأريوسية، وشدّد ضعفاء الإيمان.

بعد عودته من مصر، قام إفرام بزيارة قيصريّة كبادوكية حوالي العام (٣٧٠)، فالتقى القديس باسيلوس الكبير. بحسب ما يرويه غريغوريوس النيصصي. يصف إفرام نفسه لقاءه بباسيلوس مباشرة بعد القداس الإلهي، فيقول: "سمعت صوتاً من السماء قائلاً لي: قم يا إفرام وكُل من المعاني الطيبة. فأجبت وقلتُ بكثيرٍ من التعجب: ومن أين لي أنا مثل هذا الطعام؟ قال الصوت: هوذا في بيتي الملكي إناء مختار (وهنا يعني باسيلوس الكبير)، هذا سوف يعطيك من هذا الطعام. وبعد أن تعجبت كثيراً من هذا الصوت، قمتُ ودخلتُ المعبد، بيت الرب، ولما وصلتُ إلى مدخل الكنيسة وسجدتُ أمام أبوابها، رأيتُ في قدس الأقداس الإناء المصطفى لامعاً بتواضعه أمام رعيته، وكانت عيونهم جميعاً شاخصةً إليه بانتباه. وبعد الكلام، تعرّف القديس عليّ بالروح القدس وأرسل إليّ، إلى ضيعتي بواسطة مترجم، قائلاً: أنت إفرام الذي كنت حانياً رأسك وتصغي إلى الكلمات الإلهية، كمن يحمل النير الخلاصي عليه؟ فأجبت: أنا هو إفرام، أنا من حرمتُ ذاتي من الطريق الإلهية. واستقبلني وقبّلي وبسط أمامي مائدة مما لديه ومن كلماته الحكيمّة المقدّسة الصادرة عن نفسه المؤمنة،

فقدّم لي من ذلك الطعام السماويّ غير البالي". هذه الرواية، كما يقصّها إفرام ذاته، تدلّ على المستوى الروحيّ العاليّ لكلّ من الرّجلين. وبحسب مؤرّخ حياة البارّ إفرام يُقال أنّ باسيليوس الكبير سأل إفرام: "لماذا مُد دخلت الكنيسة وأنت تجلّني؟ فأجاب القديس إفرام: إنّني مصرّ على ذلك وعلى تكريمك ومدحك لأنّي رأيتُ فوق رأسك حمامةً بيضاء ثابتة من جهة كتفك الأيمن وقرب أذنك وهي تكلمك".

أمّا الرواية أنّ القديس باسيليوس الكبير الكبادوكي حاول أن يشرطن أبانا البارّ إفرام لدرجة رئاسة الكهنوت وأنّ إفرام رفض ذلك بإصرارٍ ثمّ أنّ باسيليوس اكتفى بشرطته كاهناً، فإنها لا تثبت. أمّا بلاذيوخس المؤرّخ فإنّه يُورد هذه الحادثة ويسمّي في روايته هذه إفرام بـ "شمّاس إيديسا"، أي شمّاس كنيسة إيديسا. إنّ إيرونيموس أيضاً يُورد هذه الحادثة. ولا يرد إلاّ في حياة القديس باسيليوس فقط أنّ إفرام شرطن كاهناً في قيصرية. وقد تكون هذه الرواية سوء فهمٍ لما جاء عند القديس غريغوريوس النيصصيّ عن إفرام في مديحه للبارّ، حيث يقول غريغوريوس عنه: "إنك ماثلت هايل البارّ فكاهنٍ قدّمت التقدمة". كثيرون من البحّاث المعاصرين يستخدمون هذه الكلمة معتقدين أنّ المقصود بها أنّ باسيليوس شرطه كاهناً. إنّ المؤرّخ السريانيّ لحياة البارّ وكذلك سوزومونوس المؤرّخ (Σωζόμενος) يخبراننا أنّ إفرام اختير أيضاً لدرجة الأسقفية، لكنّه رفض في البداية هذا الشرف الكبير، ثمّ تظاهر فوراً بالجنون عندما أدرك أنّهم سوف يقبضون عليه ويشرطنوه قسراً. ويقول سوزومونوس إنّ إفرام خرج إلى الشارع والأسواق يسير بشكلٍ غريب ويتظاهر بالجنون ويأكل علائقاً وقت الصوم وبهذه الطريقة أبعده عن الشرطية. إنّ سوزومونوس يروي هذه الحادثة في سياق حديثه عن جهاد القديس الصادق ضدّ روح المجد الباطل.

إنّ ثيوذوريتوس أسقف قورش في كتابه "التاريخ الكنسيّ" (Εκκλησιαστική Ιστορία) يفيد بأنّ إفرام السريانيّ كان مجاهداً كبيراً في أقواله وكلماته ضدّ الهرطقات، وخاصة التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين آنذاك وكانت الآريوسية أهمّها. إنّ كنيسة إيديسا الشهيرة وبموقعها الأسقفية الكبير كانت معرضةً لكثير من الهرطقات ولقد أظهر إفرام جهاداً كبيراً فيها من أجل كلمة الحقّ. فعلى الرغم من أنّه لم يدرس اللاهوت والفلسفة عند الآباء اليونان ولم يعرف اللّغة اليونانية والعقائد بشكلٍ منهجيّ، إلاّ أنّه بالعودة إلى الكتاب المقدّس واستناداً إلى خبرته الروحية مع نعمة الروح القدس، فنّد مزاعم الهرطقة كلّها. يقول النصّ السريانيّ عن حياته وعلى لسان إفرام: "لقد وجدتُ كتاباً واضطربتُ كثيراً وحزنتُ لأقواله لأنّ هذا الكتاب أساء إلى مسمعي وممرر قلبي بمرارته وتجديفه، ولكي أطرد هذا الظلام عن القلب لجأتُ إلى الكتاب المقدّس"<sup>23</sup>.

تأثر إفرام كثيراً بجرأة ووقاحة بعض الهرطقة كأتباع آريوس وقد لجأ في رده عليهم، الموجه إلى الشعب والرعية، إلى وصف العذابات التي أنزلها الله في بعض المدن التي جدفت على الله. مذكراً بالعقاب الإلهي: "انظروا كيف يعاقبنا الله على سماعنا للهرطقة. بدل أن نكون حَبَّ حنطة صرنا غباراً ورماداً، وهوذا ريح شرقية قد ذرتنا جميعاً. لم نلجأ إلى عمود الحقّ مخلّصنا ولهذا لم تنفعا مدننا المحصنة. بعض رعائنا حباً بالمجد يشتهون المناصب وهوذا نراهم مقتولين ملقين على التراب أو يُجرّون أسرى إلى بلاد المحوس فارس". هكذا، اعتبر إفرام أنّ الحروب الفارسية وانهمزام نصيين أمامها كان عقاباً إلهياً على انتشار البدع والهرطقات فيها. ولا يشهد أحدٌ على مقدار دفاع إفرام ضدّ الهرطقات إلاّ أهل إيديسا ذاهم الذين ثبتوا في الأرثوذكسية حتى بعد وفاته وهذا الثبات كان ثمرة جهاده ونضاله.

عندما يتطرق بلاذيرس على ذكر إفرام يسميه "شماس كنيسة إيديسا" ويمدح كثيراً حياته وطريقة نسكه، فقد نال بفضل نسكه مواهب عديدة. ويبدو واضحاً عند بلاذيرس تشديده على موقف القديس إفرام مما جرى في إيديسا سنة (٣٧٢) عندما ترك التوحّد والبرية وجاء ليشارك أهل المدينة مصائبهم. لقد تألم إفرام كثيراً وحزن لكلّ ما جرى فيها ومع أهلها. لقد وقف إفرام ينادي الأغنياء ويوبّخهم بهذه الكلمات: "إلى متى لا تتعطفون على هؤلاء البشر التعساء، وتحافظون على أموالكم وغناكم حتى يعفن، وتجلبون على أنفسكم عقاب الله؟". أما هؤلاء الأغنياء بحسب بلاذيرس فلم يتأثروا بكلام إفرام وأجابوه: "ليس لنا من نأتمنه على نقل خيراتنا إلى هؤلاء البشر التعساء، لأنّ الجميع يدعون بالإحسان لكنهم يستفيدون من مثل هذه الحالات". عندها سألم إفرام وماذا تقولون عني؟ أجابوا هؤلاء بصراحة: إنّنا نعرفك رجل الله. وهذه الشهادة الجماعية لبّت لإفرام ما كان ينتظره، وقال: "إذا كنتم تثقون بي هاءنذا أضع نفسي في هذه الخدمة وراح إفرام يتقبّل تقدمات الأغنياء ويستقبل التعساء والمرضى والمفجوعين وأقام شبه مستشفى استقبال فيه العديد من المرضى لمعالجتهم وإنقاذهم، أما الذين توفوا فكان يدفنهم بكرامة"<sup>٢٤</sup>.

عندما انتهى عام المجاعة هذا سنة (٣٧٢) عاد البارّ إلى منسكه حيث توفي بعد سنة تقريباً، في التاسع من حزيران (٣٧٣)، عن عمر يناهز ٦٧ سنة. وكما يقول بلاذيرس فإنّ الله قد منحه هذا الإكليل الجميل في نهاية حياته (يعني هذه الخدمة لأهل إيديسا). عندما شعر إفرام بأنّ ساعة موته قد اقتربت جمع تلاميذه والعديد من أهل إيديسا وأعطاهم وصاياه وتعاليمه الأخيرة وهذه وصلت إلينا بكتاب "العُهدَة" (Διαθήκη).

هناك رأيٌ يقول بأن إفرام توفي سنة (٣٧٩) أي بعد مرور شهرٍ على رقاد باسيليوس الكبير، في مسعى لتأكيد أن إفرام قام بتقريظ باسيليوس الكبير عند وفاة هذا الأخير، ولكن هذا الرأي غير مثبتٍ علمياً. الجدير ذكره أن كنيسة الأرثوذكسية تكرم تذاكر البار إفرام السرياني في ٢٨ كانون الثاني.

في شبابه، تجرّب بقساوة من فكرٍ مُعيب، حيث شكّ بعناية الله ورعايته، واعتقد أن كلّ الأشياء تتم بالصدفة أو بنظامٍ طبيعي. ولقد عدّبه هذا الفكر، ولطالما وبّخ ذاته بشأنه في كتاباته لإفادة سامعيه، ولربّما كان ذلك بتدبيرٍ وعنايةٍ إلهية. لذلك يجربنا في (... Ελεγχος εαυτού) "تأنيب الذات" عن عناية الله التي لا تسمح بتجربةٍ إلاّ وقد دبّرت المخرج مسبقاً. فقد سمح الله، بعنايته، أن يُتهم إفرام بسرقةٍ ويُسجن ظلماً، حينها ظهر له أحدهم في رؤيا بعد ثمانية أيامٍ في السجن ليقول له: "تعلّم من ظرفك الحالي الظالم أنّه لا أبشع من أن تظلم الله أيضاً بالأفكار التي فكّرتَ بها".

حدثٌ كهذا لم يسبّب فقط إقصاء شكّه بعناية الله وحسب، وإنّما قاده إلى أخذ القرار بأن يهجر العالم وأن يقصد النساك في الجبال، حيث تتلمذ للقديس يعقوب، الذي كان خبيراً في الحياة الروحية والنسكية. ولقد اصطحب يعقوب، أسقف نصيبين فيما بعد، تلميذه إفرام معه إلى الجمع المسكوني الأول في نيقية (٣٢٥)، وكان إفرام عندها ابن تسع عشرة سنة تقريباً. بدأ إفرام بدراسة الكتب المقدسة بتوجيه معلمه يعقوب مجاهداً أن يعيش الإيمان في كماله، كما راح يعلم في مدرسة نصيبين.

وعلى صعيد الجهاد الروحي النسكي، فإنّ كلّ مؤرّخي حياته يتكلّمون عنه بإعجاب. دخل إفرام مسرح الجهاد الروحي بغيره وعزمٍ وتقدّم في طريق الكمال وتطهير الذات وصار "إناءً مختاراً" للنعمة. وخلال فترةٍ وجيزة اختبر عمق الحياة الرهبانية. يُعجّب المؤرّخ سوزومونوس بتقدّم إفرام السريع وبنجاحاته الروحية وتعلّم كلّ العلوم الرائجة آنذاك في سوريا<sup>٢٥</sup>، وذلك دون أن يتابع المدارس التاريخية العظمية في ذلك الزمان (أنطاكية - الإسكندرية)، ودون أن يدرس العلوم المدنية والفلسفة السائدة في تلك الحقبة.

لقد امتلك الحكمة الإلهية وامتلاً من النعمة وكان مقتدرًا في التعليم أيضاً. هو نفسه يعترف بالنعمة التي وهبت له، ويروي تلك الرؤيا التي شاهدها وهو صغير: "رأيتُ كرمَةً تحمل عناقيد كثيرةً وقد نبتت في لساني، وعندما نبتت وخرجت من فمي تفرّعت فروعها حتى غطّت الأرض كلّها، فكانت كلُّ الطيور تحطّ على أغصانها وتجد لها فيها طعاماً غنياً وكانت تطير حولها، وبمقدار ما كانت الطيور تأكل من عناقيدها كانت تزداد ثمارها"<sup>٢٦</sup>.

<sup>25</sup> PG 67, 316A.

<sup>26</sup> PG 114, 1260.

كان إفرام رجل النعمة أكثر مما هو رجل الفكر، وما حققه من فهمٍ وحكمة كان ثمراً نسكه واختباراً لحركات الروح، فامتلك الحكمة الروحية والمعرفة الحقيقية. بحسب المؤرخ سوزومونوس بمدح باسيلوس الكبير إفرام ويُعجب بحكمته ويعتبره يفوق كل رجال عصره<sup>27</sup>.

### إفرام في التقليد اليوناني

يُرد ذكرُ إفرام لأول مرة عند إيرونيموس (Ierónimos) في نهاية القرن الرابع (٣٩٢). منه نعرف أن كتابات إفرام كانت تُقرأ جماعياً في الكنائس بعد تلاوة المقاطع الكتابية. وهو نفسه طالع كتاب إفرام "حول الروح القدس"<sup>28</sup>، ويستدلّ منه على المستوى الروحي الرفيع لشماس إيديسا، بالرغم من أن النصّ كان باللّغة اليونانية<sup>29</sup>.

من جهة أخرى، خصّص بلاذوس المؤرخ (Παλλάδιος) في كتابه النسكيّ الشهير (Λαυσαϊκή Ιστορία) (٤١٩-٤٢٠)، أي ٤٧ سنة بعد وفاة إفرام، مجمل الفصل الـ ٤٠ لأعمال إفرام السرياني. ويُورد أن إفرام عاش متوحداً أغلب زمن حياته، عدا الفترة الأخيرة قبل رقاذه. وأنه جاء إلى إيديسا بسبب المجاعة الكبيرة التي حلّت فيها قاصداً مساعدة المحتاجين، ثم عاد إلى البرية بعد انتهاء هذه المجاعة، وذلك قبل شهر من وفاته<sup>30</sup>. وبعد عشرين سنة، نعثر عند المؤرخ سقراط (Σωκράτης) تقريباً على المعلومات ذاتها عن إفرام<sup>31</sup>.

أمّا المؤرخ سوزومونوس (Σωζόμενος) فيقدم، بعد ٧٠ سنة على وفاة إفرام، في كتابه "التاريخ الكنسي" (Εκκλησιαστική Ιστορία)، معلومات إضافية، فيروي أن إفرام أحبّ الحياة الرهبانية وفاق النسك اليونان في مؤلفاته التي تُرجمت إلى اليونانية وهو بعد على قيد الحياة. كما يُورد المؤرخ سوزومونوس رواية إعجاب باسيلوس الكبير بإفرام<sup>32</sup>. ويُورد أيضاً جدولاً بأسماء تلامذته الغيورين كثيراً على تعاليمه. يُورد ثيودوريتوس (Θεοδώρητος) إضافاتٍ قليلة عمّن سبقوه، ويقول إن إفرام كتب بالسريانية، التي كانت اللّغة الثالثة في استخدام الكنيسة الأرثوذكسية آنذاك<sup>33</sup>، وأنّ تسايحه كانت تُقرأ في أعياد الشهداء<sup>34</sup>.

<sup>27</sup> PG 67, 3, 168.

<sup>28</sup> "Περί του Αγίου Πνεύματος".

<sup>29</sup> De vir. II. 115.

<sup>30</sup> بلاذوس، [PG 34, 1204-1209].

<sup>31</sup> Σωκράτη, H.E., 4, 23.

<sup>32</sup> سوزومونوس، [Εκκλησιαστική Ιστορία, 3, 16, PG 67, 1085C – 1093A].

<sup>33</sup> Meyendorff, John Pref., *Ephrem the Syrian*, translation & introduction Kathleen E. McVey, Paulist Press, N.Y. 1989, p.1. Χρήστου, Παναγιώτου, *Εκκλησιαστική Γραμματολογία*, τ.Α', Θεσσαλονίκη 1984, σ.276.

<sup>34</sup> ثيودوريتوس أسقف قبرص، [Εκκλησιαστική Ιστορία, 4, 26, PG 82, 1189CD].

نظم ثيوفانيس الكاتب (Θεοφάνης ο Γραπτός) قانون صلاة السّحر لعيد القديس إفرام (٢٨ ك٢)، ونظم القديس ثيودوروس الستوذيتي (Θεόδωρος Στουδίτης) قنடاقاً بثمانية أبيات، وكذلك القديس رومانوس المرثم قنடاقاً مماثلاً من تسعة أبيات. وقد نهل هؤلاء كلّهم من رثاء القديس غريغوريوس النيصصي لإفرام. بالإضافة إلى القديس غريغوريوس اللاهوتي<sup>٣٥</sup>. المصادر الأخرى هي لكلّ من المؤرّخ سوزومونوس<sup>٣٦</sup>، بلاذبيوس<sup>٣٧</sup>، ثيودوريتوس أسقف قورش<sup>٣٨</sup> وإيرونيμος<sup>٣٩</sup>. هناك أيضاً مصادر سريانية كتبت في القرن الخامس ومصادر أخرى كالميناون مثلاً تعطينا بعض المعلومات الإضافية.

على الرغم من غنى المصادر السابقة وأهميتها، فإنها تترك العديد من جوانب حياة القديس إفرام غير واضحة. لذلك فالمعلومات الواردة في أشعاره تشكّل المصدر الأهمّ عن حياته والأكيد والجليّ. وهذا ما صنعه غريغوريوس النيصصي بدءاً. ولكنّ سمعان المترجم عاد وجدّد هذا العمل وكتب حياة البارّ وأعماله<sup>٤٠</sup>.

## II . إفرام الشاعر (باليونانية)

لقد عُرف إفرام السرياني كمعلّم مسكوبي<sup>٤١</sup>، وذلك منذ سنواتٍ مبكرةٍ جداً. وكما ذكرنا سابقاً، فإنّ مؤلفاته كانت تُقرأ في بعض الكنائس بعد تلاوة الكتب المقدسة<sup>٤٢</sup>. وكان الناس يذكرون إفرام دائماً بتقدير وإعجاب كبيرين لأنّه كما يقول القديس غريغوريوس النيصصي: "إلى كلّ الأرض خرج صوت حياته وتعاليمه"<sup>٤٣</sup>.

إنّ إيرونيμος، الذي عرف عن إفرام من الترجمات اليونانية واللاتينية فقط، يتكلّم عنه بإعجابٍ وعن رهافة روحه ومقدرته على التأليف وعن كتاباته الرائعة. أمّا غريغوريوس النيصصي، فبالإضافة إلى الإعجاب بمؤلفات إفرام وقدرته على التأليف فإنّه يؤكّد على مقدرة كلمات إفرام بالتأثير على كلّ من يقرؤها. وأمّا يوحنا الذهبيّ الفمّ فيشيد في كتاباته بإفرام كثيراً ويعدّد تنوع مواهبه الروحية التي نالها من الله، ويقول بهذا الصدد: "إفرام الغنيّ، إفرام التعزية للمحزونين، التربية للشباب، العزاء للتائبين، السيف ضدّ

<sup>٣٥</sup> غريغوريوس النيصصي، [Εγκώμιον εις τον Όσιο Πατέρα ημών Εφραίμ, PG 46, 820-849]

<sup>٣٦</sup> سوزومينوس، [Εκκλησιαστική Ιστορία, PG 67].

<sup>٣٧</sup> بلاذبيوس، [Λαυσαϊκή Ιστορία, PG 40].

<sup>٣٨</sup> ثيودوريتوس أسقف قبرص، [Εκκλησιαστική Ιστορία, PG 82].

<sup>٣٩</sup> Hieronimus, *De viris Illustribus*, PL 23.

<sup>٤٠</sup> سمعان المترجم، [Βίος και Πολιτεία του Οσίου πατρός ημών Εφραίμ του Σύρου, PG 114]

<sup>٤١</sup> غريغوريوس النيصصي، [Εγκώμιον, 828].

<sup>٤٢</sup> إيرونيμος، [De viris illustribus, 115].

<sup>٤٣</sup> غريغوريوس النيصصي، [Εγκώμιον, 823].

الهرطقة، إناء الروح القدس". لقد نظم إفرام الكثير، بحسب سوزومونوس ما يزيد عن ثلاثة ملايين بيت شعري. أما عدد كتابات إفرام بحسب القديس فوتيوس الكبير، كما جاء في كتابه (Μυριόβιβλος)، فيفوق الآلاف، وذلك عن مصادر أخذها من مؤرخين سريان لحياته<sup>٤٤</sup>.

إذا حاولنا أن نصنّف كتابات أبينا البار فيمكننا ترتيبها كالتالي: أولاً شروحات للكتاب المقدس، وقد ضاع أغلبها. ومن هذه الشروحات مقالات له عن حياة الآباء البطارقة والنساء القديسات في العهد القديم والعهد الجديد؛ وأيضاً دفاعات ضد الهرطقات؛ أضف إليها التوجيهات الروحية والصلوات ومؤلفات بشكل إجابات على أسئلة، ومقالات في مواضيع إيمانية مختلفة عن الحياة المسيحية. إن أغلب كتابات إفرام جاءت بشكل شعري وذلك بحسب حاجة مسيحي بلده آنذاك.

من أهم المؤلفات المعروفة عن إفرام لدينا هي شروحاته في الكتب الخمسة الموسوية وفي سفر يشوع بن نون وفي سفر القضاة وفي سفر الملوك وفي سفر أيوب وفي أسفار الأنبياء الكبار هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا وميخا وزخريا وملاخيا ويونان.

إن النسخة الأرمنية عن مؤلفاته تضيف أيضاً شروحات في رسائل بولس الرسول وكتاباً في توافق الأناجيل الأربعة، الذي بحسب المؤرخين السريان أتبع فيه ما يشبه إنجيل "Διά Τεσσάρων" المعروف بـ "إنجيل تاتيان"<sup>٤٥</sup>. كما كتب إفرام شروحات في كثير من الحكم الكتابية أو في مقاطع من هذه الكتب. لديه اثنتا عشرة مقالة حول الفردوس، يشرح فيها الفصلين الثاني والثالث من سفر التكوين.

لا شك أن مقدرته هذه على شرح الكتاب المقدس تؤكد لنا أنه كان يملك معرفة ما باللغة العبرية، ولكنها تظهر قبل كل شيء معرفته للظروف الجغرافية والعادات الاجتماعية في الشرق<sup>٤٦</sup> التي كانت تحيط بشخصيات الكتاب المقدس. وهو يوّخ في شروحاته كل من يلجأ إلى شرح الكتاب المقدس دون معرفة كهذه، كما يوّخ إفرام العديد من الذين لجؤوا إلى تأويل كبير لكلمات الكتاب المقدس.

بحسب البحاثة، يميّز إفرام بين الرموز التي تتضمنها الكلمات والتأويل الذي يُحمّل على هذه الكلمات. إن الاسترسال في التأويل قد يؤدي إلى تحريف المعاني وإلغاء الحقيقة التاريخية للأحداث. يميّز إفرام بشأن شروحات النبوءات في العهد القديم بين نوعين منها: تلك التي تتكلم عن المسيح وتلك التي تحققت كأحداث في العهد الجديد. هكذا مثلاً في تفسيره للآية (أشعيا ٣٥، ٤-٧) أنه "سيفتح أعين العميان وآذان الطرشان"، يقول إفرام السرياني أنه يمكن تفسير هذه الآية على ضوء أحداث تمت في العهد القديم، لكنها تتكلم بشكل

<sup>٤٤</sup> فوتيوس، [Μυριόβιβλος, PG 103, 662A].

<sup>٤٥</sup> يسلم الجزء الأكبر منه في الترجمة الأرمنية، بينما تسلم الـ "Μυριόβιβλος" مقاطع منه فقط في الترجمة اليونانية. انظر الموسوعة اليونانية ΘΗΕ.

<sup>٤٦</sup> "لم يقرأ أحد الكتاب المقدس وفسره، بعهديه القديم والجديد، مثل إفرام، فقد شرحه كلمة كلمة، من تكوين العالم وإلى نهاية عهد النعمة". غريغوريوس

عميق عن المسيح ذاته، وهذا هو معنى الآية الحقيقي<sup>٤٧</sup>. لا شك أن إفرام اتبع في طريقة شرح الكتاب المقدس طريقة معلّمه يعقوب رئيس كهنة نصبيين، أي طريقة المدرسة الأنطاكية التاريخية واللغوية ولكنه تجنّب تطرّفاتها ولم يتعد كثيراً عن الطريقة التأويلية للمدرسة الإسكندرانية، خاصةً في أشعاره وتسايبحه. إلا أننا نرى أن أبانا القديس قد عمل ضدّ الهرطقات أيضاً في محيطه ومحيط مدينة إيديسا آنذاك. لذلك نجد في كتاباته نفحات عقائدية، لكنّ القليل منها فقط تُرجم إلى اليونانية، والسبب أن الآباء اليونان كانوا قد استفاضوا في مثل هذه الدراسات.

يقول سوزومونوس مؤرّخ حياته أن القديس إفرام لجأ إلى الشعر والموسيقى في كتاباته وذلك عندما لاحظ أن أهل إيديسا كانوا يتأثرون بالهرطقة من خلال هذه الطريقة وخاصةً بارديسانوس (Βαρδισάνος) وأتباعه فأراد أن ينتج شعراً وموسيقى صافيين من تأثير الهرطقة. لهذا يُقال أنه كوّن جوقاتٍ من شابّاتٍ وشبانٍ وعلمهم التساييح والترانيم وكانوا يرتّمونها، ودارت هذه الترانيم حول ميلاد المسيح والمعمودية، حول الصوم، حول التدبير الإلهيّ وحول الخلاص وآلام المسيح وقيامته وصعوده، كما وحول الشهداء، وله أشعارٌ في التوبة وللأموات. كانت جوقات الشبان والشابّات هذه تقوم بترنيم هذه التساييح في الأعياد بقيادة أبينا البارّ نفسه؛ لكي تحلّ هذه الترانيم مكان أشعار الهرطقة وأغانيتهم.

هذه الشهادة القديمة من سوزومونوس تتأكّد من مؤلّفات القديس نفسها. نجد شهادةً عن ذلك في نهاية التريمة (رقم ٦٥) كما يذكر سوزومونوس وثيودوريتوس أسقف قورش، فقد نظم إفرام تساييحه على الأوزان الشعرية التي استخدمها الهرطقة كما عند أرمونيوس تلميذ بارديسانوس (Βαρδισάνος). من أهمّ أشعاره أناشيد الميلاد ولها طابع احتفاليّ يفيض منها الفرح الضروريّ للاجتماعات الكنسية. لدينا أيضاً مقاطع من تساييحه وترانيمه لآلام المسيح وقيامته ولكن ليس لدينا الكثير من ترانيمه في الأعياد السنوية والسيدية، على سبيل المثال في المعمودية، في الصعود، في الصوم أو في أعياد الشهداء، رغم أنه قد وردت لدينا إشاراتٌ عنها من كاتب حياته السريانيّ ومن ثيودوريتوس أسقف قورش. لترانيمه من أجل الأموات قيمةٌ مميزةٌ خاصةً، فهو يدافع فيها عن عادة الكنيسة بالصلاة من أجل الأموات في عبادتها وطقوسها. وقد نظم إفرام أيضاً في هذا الإطار الكنسيّ العديد من الترانيم والتساييح التي تدعو إلى التوبة.

إنّ تساييح إفرام السريانيّ تصنّف ضمن فئتين: الفئة الأولى هي "الميمر" (Memre) وهي عبارة عن نثرٍ ومقالاتٍ عادية، بينما الفئة الثانية فهي "المدراس" (Madrache) وهي عبارة عن تساييح منظومة بأوزان شعرية. لا شك أن إفرام لم يكتب للتأليف اللاهوتيّ ولكن من أجل الدعوة لممارسة التوبة والحياة الروحية. أمّا منظوماته العقائدية فقد جاءت للردّ على الهرطقة. لذلك لا نجد منظومةً فكريةً لاهوتيةً فلسفيةً في كتاباته

بقدر ما هي عبارة عن زبدة حياة تقوية تدعو إلى التوبة والحياة المسيحية. ولقد أُلقيت الكثير من ترانيمه من على منبر الكنيسة، لهذا تميّزت بغناها بالصور المعنوية والتعابير، خاصةً بلغتها الأصلية السريانية. هناك تأكيدٌ لدى الباحثين على أن الترجمات إلى اللغة اليونانية قد حافظت بقدر كبير على حيوية وطريقة تعبير مؤلفات إفرام السرياني بلغتها الأصلية السريانية. لكننا نقع عند القديس فوتيوس الكبير على بعض الملاحظات التي يعللها بضعف الترجمة وليس بضعف مصدرها الأصلي باللغة السريانية، إذ ليس من السهل نقل هذه النصوص الشعرية بمعانيها وصورها الغنية من لغتها الأم إلى لغةٍ أخرى<sup>٤٨</sup>. لكن هذه النواقص القليلة لا تمنع القارئ باللغة اليونانية من فهم عمق وسمو المعاني الروحية التي كتبها أبونا البار والتي تتميز بالعمق والبساطة والحيوية والوضوح.

إن مؤلفات إفرام السرياني أوضحته ليس فقط مفسراً كبيراً للكتب المقدسة ولا مجاهداً من أجل الحقيقة العقائدية وحسب، ولكن أيضاً معلماً للحياة المسيحية الأخلاقية وواعظاً للتوبة والسهر. يكتب غريغوريوس النيصي في مديحه للبار إفرام: "كما أن البشر يتنفسون دائماً لكي يживوا ويعملوا، كذلك إفرام كان يدمع دائماً، فلا نهاراً ولا ليلاً ولا نصف ليل ولا ساعة ولا لحظة ولا أقل من اللحظة كان جفن إفرام جافاً بل كانت عيونُه مملأة بالدموع". إليكم ما يكتبه إفرام نفسه: "عندما أتمدّد للراحة والنوم، يا سيدي، أتذكر محبتك للبشر فأهض في نصف الليل لكي أشكر، لكنني أتذكر خطاياي فأبدأ بالبكاء وأذرف الدموع فيكاد اليأس يتملكني لولا أن الفريسي والخاطئة والكنعانية ونازفة الدم والسامرية كانوا يستنهضونني بالرجاء". يمكن أن يُقال بدون تردد إنه قبل كل شيء "قديس التوبة". والتوبة عنده مرتبطة بالصلاة والتخشع والدموع، بالحبّة والتواضع، بالدينونة خاصةً. هو الذي قال إن الكنيسة هي جماعة التائبين إلى الله. هذه الدموع معروفة في الكنيسة، من خلال خبرة الحياة في المسيح، بالدموع المفرحة. الصفات المذكورة أعلاه ملخّصة في القنداق الخاصّ بالقديس. ليست صفات تدعو إلى اليأس والحزن (بدون رجاء) ومرضى نفسي، هذا لأنّها مشبعةٌ بثمار الروح القدس ألا وهي الحبّة، التواضع، الحنان، الفرح، الشكر والتمجيد. ممّا يعكس شخصية متوازنة ومستنيرة<sup>٤٩</sup>.

تسيطر على كتابات إفرام السرياني فكرة أصحاب الساعة الحادية عشرة (متى ٢٠، ٦): "إنّ زمن حياتي للتوبة هو في ساعته الحادية عشرة"، كما يعبر هو نفسه بانسحاق. هذا الشعور يقود أبانا إلى توبيخ الذات واستنهاضها وملاحتها، إلى الخشوع، وهي كلّها طريقٌ إلى التوبة والعودة إلى الله. وتتضح بشكلٍ

<sup>٤٨</sup> فوتيوس، [Μυριόβιβλος, PG 103, 660B].

<sup>٤٩</sup> القديس إفرام السرياني، مقالات روحية وخشوعية، المرجع السابق، ص III.

أساسي من كتاباته محاور عدة مثل ذكر الموت والدينونة، خوف الله، الانتباه، التواضع، الانسحاق، وفوق وقبل كل شيء ما يجرّك قلب إفرام: الحب الإلهي الذي لا يُدرك ورحمة الله ومحبته للبشر. لهذا من عمق خطاياهم يرفع عينيه ويديه إلى صلاح الله اللامتناهي ويرسل شكراً وتسايح للمخلص. وتبقى الشهادة الوحيدة على أمانة الإنسان للحب الإلهي هي حفظه الوصايا الإلهية.

البار إفرام السرياني هو المعلم الأول للانسحاق والتوبة. إن كتاباته وأقواله تقود النفس البشرية إلى الانسحاق والتوبة والدموع. كما أن قسماً من كتاباته حول الأخلاقيات المسيحية والحياة الروحية توجه حياة المؤمن نحو الكمال المسيحي. في هذا الإطار تندرج وصاياه الروحية وخبراته الروحية المدونة ومنها أيضاً الأسئلة والإجابات ومقالات عديدة تختص بالحياة العملية.

### III . لاهوته

يتبع إفرام المدرسة الأنطاكية، التي تفسر الكتاب حرفياً وتاريخياً (λεκτική τυπολογία)، من دون تطرف. من جهة أخرى، ليس هو ببعيد عن المدرسة الإسكندرانية لكثرة استعماله للرموز في تسايحه<sup>50</sup>. مصدره الأول هو الكتاب المقدس، ورغم أنه لا يقوم بشرحه إلا أنه يعود إليه في سائر كتاباته، بينما يشكل التقليد المسيحي - اليهودي مصدره الثاني.

في سياق نصوصه يستشهد بأقوال لآباء آخرين، دون إشارته إلى استعارتها منهم، وهذا الأمر كان عادةً سائدة بين الآباء في ذلك الحين<sup>51</sup>. كما نجد نصوصاً تُنسب إلى إفرام بينما هي دخيلة (من أعمال مكاريوس المنحول واسحق السوري)<sup>52</sup>.

### الإسختولوجيا (Εσχατολογία)

كلّ الخليفة، العالم والإنسان، تسير نحو غاية إلهية وهي الخلاص، أي التجديد والتأله. لذلك لفكر إفرام بُعداً إسختولوجياً ليس كحالة أخروية في الحياة الآتية بل كزمن تجديدي يبدأ من الحياة الحاضرة، لأن هذا التأله مرتبط مباشرةً بمشاركة الإنسان بالنعمة الإلهية<sup>53</sup>.

<sup>50</sup> Κωνσταντίνου, Γ. Φραντζολά, *Εισαγωγή κειμένων του οσίου Εφραίμ του Σύρου*, τ.Α', Θεσσαλονίκη 1995, σ.27. Παντελάκη, Ε. Γ., *Εφραίμ ο Σύρος*, MEE, τ.11, σ.864. Leloir, Louis, Introduction, Traduction et Notes, *Ephrem de Nisibie, Commentaire de l'Évangile Concordant ou Diatessaron*, SC 121, Ed. du Cerf, Paris 1966, p.30.

<sup>51</sup> Danielou, Jean, *Metempsychosis In Gregory of Nyssa*, OCA, 195 (1973), p.227.

<sup>52</sup> Hemmerdinger-Ηλιάδου, Δημοκρατίας, *Ephrem Grec*, op.cit., pp.800-1.

<sup>53</sup> Stephan, Kamil, *Το Μυστήριο της σωτηρίας, Σπουδή στα φερόμενα ως έργα του οσίου Εφραίμ του Σύρου στα Ελληνικά*, Θεσσαλονίκη 2005 (not published), σ.10.

## الخلاص (Σωτηριολογία)

ليس الخلاص حدثاً قضائياً (قانونياً)، كما وليس أمراً يُقترب منه بالمعرفة العقلانية عن الله، بل هو مسيرةً ديناميكيةً للتطهير والتنقية تبدأ من المعمودية وتنمو في الحياة الكنسية. لا يميز إفرام بين الخلاص والتأله. إن توصيفه للإنسان المخلص هو ذاته للإنسان المتأله. إن ملكوت الله هو المشاركة الأبدية في النور والمجد الإلهيين، تلك المشاركة الناتجة عن معاينة الله الدائمة<sup>٥٤</sup>.

## نسكيات

يُدعى إفرام "قديس الدموع"، كما يصفه غريغوريوس النيصصي. وهذا يدلنا على مقدار اعتباره في الأدب النسكي الهدوي<sup>٥٥</sup>. وقد أثرت مؤلفاته كثيراً على الرهبنة والأديار اليونانية أولاً ثم على أديار المناطق الأخرى<sup>٥٦</sup>. ويُعتبر أيضاً "الشاعر المسيحي الأول" في اللغة السريانية<sup>٥٧</sup>. وقد دخلت تسايحه في الصلوات السريانية كما وفي الطقس البيزنطي<sup>٥٨</sup>.

والصلاة الخشوعية التي بقيت حية في الليتورجيا والمعروفة "بصلاة التوبة" للقديس إفرام السرياني برهان قاطع على ذلك: "أيها الربّ وسيد حياتي أعتقني من روح البطالة والفضول وحبّ الرئاسة والكلام البطال. وأنعم عليّ أنا عبدك الخاطيء بروح العفة واتضاع الفكر والصبر والمحبة، نعم يا ملكي وإلهي هب لي أن أعرف ذنوبي وغيوبي وألا أدن إحتوي لأتّك مبارك إلى الدهر، آمين"<sup>٥٩</sup>.

لم يكتب مؤلفات لاهوتية منهجية (منظومة لاهوتية)، ولكنه عبّر عن خبرة المسيرة الروحية نحو الخلاص، عن الإيمان والتوبة، وتكلم عن المحبة الإلهية والنعمة غير المخلوقة.

## محايرته الهرطقات

<sup>٥٤</sup> المرجع السابق.

<sup>٥٥</sup> غريغوريوس النيصصي، [Εγκώμιον εις τον όσιον Εφραίμ, PG 46, 829 D]:

"Ὡς πάσιν ανθρώποις έμφυτον το αναπνεΐν, και αεί ενεργούμενον, ούτως Εφραίμ το δακρυροεΐν".

<sup>٥٦</sup> Παπαδοπούλου, Στυλιανού, ό.π., σ.333. Voobus, A., *History of Asceticism in the Syrian Orient*, t.2, op.cit., pp.100-10.

<sup>٥٧</sup> Murray, Robert, *Catholic Dictionary of Theology*, ed. J.H. Crehair, London 1967, p.222. *The Syriac Fathers on Prayer and the Spiritual Life*, Translation & Introduction Sebastian Brock, Cistercian Publications Inc., Kalamazoo, Michigan 1987, p.30.

<sup>٥٨</sup> سوزومينوس، [Εκκλησιαστική Ιστορία, 3, 16, PG 67, 1089]

"The Influence of Ephrem on Byzantine hymnography and in particular on the greatest of all Byzantine poets, Romanos, is still widely admitted". Brock, Sebastian, *Studies in Syriac Christianity*, Variorum, Great Britain 1992, p.VI, 77. Brock, Sebastian, *Syriac Perspective on Late Antiquity*, Variorum Reprints, London 1984, p.1, 13.

<sup>٥٩</sup> القديس إفرام السرياني، مقالات روحية وخصوعية، المرجع السابق، ص IV.

لا يحارب إفرام المهرطقة بشكلٍ عدوانيٍّ. ليست العقيدة عنده إيدولوجيا بل هي "الوديعة الصالحة"<sup>٦٠</sup>. وهذا كان همُّه الشاغل في نهاية حياته، فسعى أن يسلم استقامة الإيمان لتلاميذه. وبما أن الكنيسة هي سفينة الخلاص، فإن الحفاظ على تعاليمها ضروريٌّ جدًّا لضمان الخلاص، لذلك فإن دحض المهرطقات ينال اهتماماً أساسياً عند إفرام، كما يبدو في "وصيته" (Διαθήκη)<sup>٦١</sup>. بالنسبة لإفرام، من غير الممكن للهراطوقي أن يخلص لأنّه لا يفصل بين النور والظلمة ولا يميّز بين الحقيقة والباطل<sup>٦٢</sup>.

#### IV . الإصدارات

تمت الطبعة اليونانية الأولى في روما في ثلاثة أجزاء بعنوان:

"Sancti Epraemi Syri... opera omnia" (١٥٨٩-١٥٩٣-١٥٩٨)، وقد جرت إعادة طبعتها

في مدينة كولونيا عام ١٦٠٣، وفي أدوربن عام ١٦١٩. وقد ظهرت نواقص عدّة في هذه الطبعة الأخيرة.

أمّا الطبعة الثانية عام ١٧٠٩ فكانت أشمل وأفضل، في جزءٍ واحد، على يد Ed Thwaites في

أكسفورد، بعنوان:

"Τα του οσίου Πατρός Εφραίμ του Σύρου προς την Ελλάδα μεταβληθέντα".

بينما تشكّل الطبعة الثالثة، التي أعدها السّمعانيّ حافظ مكتبة الفاتيكان، (J.S. Assemani) في ستّة

أجزاء كلّ ما سلّم لنا باللّغة اليونانية، والسريانية واللاتينية، وهي بعنوان:

'Sancti Patris nostril Ephraem Syri opera omnia quae exstant graece, syriace, latine'

الأجزاء الثلاثة الأولى تتضمّن النصوص المترجمة إلى اليونانية وقد طبعت على التوالي في الأعوام ١٧٣٢،

١٧٤٣ و ١٧٤٦؛ بينما الأجزاء الثلاثة الأخرى فهي تحوي النصوص السريانية.

ظهرت في العصر الحديث عدّة إصدارات قام بها عدد من دور النشر والباحثة وهي:

- G. Bickell, Sancti Ephraemi Syri, Carmina Nisibena, Lipsiae 1866.

- Th. Lamy, Sancti Ephraemi Syr, Hymni et Sermones, Mechliniae 1882-1902, (أربعة )  
(أجزاء).

- S. G. Mercati, Sancti Ephraemi Syri Opera, Romae 1915.

<sup>٦٠</sup> ٢ تيمو ١، ١٤.

<sup>٦١</sup> Τον Οσίου Εφραίμ Διαθήκη, T. VII, 421-2.

<sup>٦٢</sup> المرجع السابق، [T. VII, 421-2].

بالإضافة إلى دراسة نقدية لأعمال القديس إفرام ضمن الموسوعة " Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium - CSCO"، وقام بإعداد هذه الدراسة كلٌّ من: R. M. و L. Leloir و Tonneau، وغيرهم...  
وأخيراً هناك تلك الصادرة عن دار "حديقة العذراء" اليونانية (Περιβόλι της Παναγίας) وهي  
ربّما الأدقّ نقدياً والأشمل:

-Κωσταντίνου Γ. Φραντζολά, Οσίου Εφραίμ του Σύρου Έργα, Κείμενο-Μετάφραση-Σχόλια, έκδ. Το Περιβόλι της Παναγίας, τ.1ος (Α' έκδ. 1988 - Β' έκδ. συμπληρωμένη, 1995), τ.2ος (Α' έκδ. 1989 - Β' έκδ. 2000), τ.3ος (Α' έκδ. 1990), τ.4ος (Α' έκδ. 1992), τ.5ος (Α' έκδ. 1994), τ.6ος (Α' έκδ. 1995), τ.7ος (Α' έκδ. 1998).

## V. الترجمات اليونانية - إفرام اليوناني

إنّ تدقيق أصالة نسبة النصوص اليونانية إلى القديس إفرام يعتمد بشكلٍ أساسيٍّ مقارنتها مع الأصل السرياني. لكن النصوص السريانية الأصلية نفسها تحتاج إلى دراسة نقدية ضرورية للتأكد من صحّة نسبتها إلى القديس إفرام.

بالنسبة إلى الترجمات الموجودة باللغة اليونانية، تعتبر السيّدة Hemmerdinger-Iliadou أنّها ليست أسبق من القرن العاشر، إلّا أنّ هذه النظرية غير واقعية وغير دقيقة، لأنّه لدينا على الأقلّ مخطوطتان منها وخمس (oncieux)؛ إضافة إلى الملاحظة أنّ المخطوطات اللاتينية جاءت ترجمة لنصوص يونانية<sup>63</sup>. هل تشكّلت حول إفرام طغمة رهبانية خاصّة؟ تختلف الآراء. وبالأصل اختلفت الآراء حول فترة وإمكانية توحيده في حياته النسكية! ينشأ السؤال عن هذا المجلّد (Corpus) بسبب العثور على جملة من النصوص التي تحمل روح إفرام ولكن يبدو عليها تطوّر واضح وتأثر بالثقافة اليونانية، ممّا يوحي أنّ هذه النصوص كُتبت من تلامذة عرفوا اليونانية مثلاً، وخاصّة أنّ بعضها يحمل شكل "أسئلة وأجوبة" (Ερωταποκρίσεων) على لسان المعلّم إفرام<sup>64</sup>. وخاصّة أنّ فوتيوس الكبير (Μέγας Φώτιος) (855-856) يشهد لوجود هذا المجلّد (Corpus).

ما هو مقدار تأثر إفرام بالثقافة اليونانية؟ أغلب البحّاث يعتبرون أنّ إفرام لم يتأثر بالثقافة اليونانية ولم يعرف لغتها. لكن André de Halleux يقول: "إنّ إفرام لم يعرف اليونانية لكنّه تعلّم الفكر اليوناني المنتشر

<sup>63</sup> Dictionnaire de Spiritualité, T. IV, pp.800-20.

<sup>64</sup> انظر مثلاً:

آنذاك في مدارس ذلك الزمان، ولقد شابه فكره بذلك فكر بعض الآباء اليونان معاصريه مثل باسيلوس وأثناسيوس، وهذا الشبه يدل على اشتراك في المصدر والمنابع<sup>65</sup>.

على كلِّ هناك شهادات واضحة عند القديس فوتيوس الكبير تعود إلى الأعوام (٨٥٥-٨٥٦) تتحدث عن وجود مجلد (Corpus)<sup>66</sup> لأعمال باليونانية لإفرام السرياني، هذا مع العلم أننا نعثر منذ القرن السادس الميلادي في كتابات الآباء على مقاطع من كتابات إفرايم. في مطلق الأحوال، وبغض النظر عن حجم الدراسات النقدية وصحة نسبة النصوص اليونانية لإفرام السرياني، فإن كل هذه النصوص مستخدمة بشكل واسع في العالم اليوناني الروحي وخاصة في جبل آثوس للاستفادة الروحية. فمشاهير الرهبان هناك يعودون إلى هذه النصوص اليونانية بتقدير كبير واستفادة واسعة. القديس نيقوديموس الآثوسي يقول صراحة إن أعمال إفرايم السرياني أُصدرت في ستة أجزاء، ثلاثة منها باللغة اليونانية واللاتينية، وثلاثة باللغة السريانية واللاتينية.

### علاقة التسايح اليونانية بأناشيد إفرايم السرياني

إن غزارة أناشيد إفرايم السرياني وحيويتها وجمالها قاد الكثير من الباحثين في العصر الحديث إلى الاعتقاد بأن أناشيد إفرايم قد شكّلت مصدراً هاماً للتسايح التي نُظمت في وقت لاحق باللغة اليونانية، خاصة في القنداق عند رومانوس المرتّم.

وتستند هذه النظرية إلى عدم وجود تسايح كثيرة باللغة اليونانية قبل القرن الخامس، من جهة، ومن جهة أخرى، إلى أن أول المرثمين العظماء الذين كتبوا باللغة اليونانية كان رومانوس المتحدّر من مدينة حمص السورية، حيث يُعتقد أن هذا الأخير قد تعرّف على نصوص إفرايم وأطلع عليها، آخذين بعين الاعتبار أن هذه النصوص تمّت ترجمتها بينما كان إفرايم لا يزال حياً.

إن هذه النظرية ممكنة رغم أن الدراسات الحديثة أظهرت وجود بعض المظاهر الشعرية في اللغة اليونانية تعود إلى فترة أسبق من إفرايم. فقد عُثر على نصوص تحوي قافية والعدد المنتظم والمتساوي من المقاطع كما وشكل الأبيات الشعرية ومنها مثلاً ترنيمه: "يا نوراً هياً"، وأيضاً التسايح الذي جاء على ورق البردي (Raener 542)، والقصيدتين في أعمال يوحنا المنحول، و"في الفصح" لميليتون أسقف سردينيا، و"في البتولية" لميثوديوس أسقف أولمبس. كما أن شطر البيت الشعري إلى اثنين هو عادة معروفة في اللغة اليونانية. وهذا ما نجده عند كل من إغناطيوس الأنطاكي المتوشح بالله، ثيوفيلوس الأنطاكي، ميثوديوس أسقف أولمبس، إفسيفيوس (حمص) وسيرايبون.

<sup>65</sup> de Halleux, André, op.cit., p.54. Bundy, David D., Language and Knowledge of God in Ephrem Syrus, PBR 5 (1986), p.92. McVey, Kathleen E., Ephrem the Syrian, Translation & Introduction, Preface by John Meyendorff, Paulist Press, N.Y. 1989, p.4.

<sup>66</sup> Μυριόβιβλος, PG 103, 196.

لدى مقارنة هذه النصوص القديمة الشعرية اليونانية مع نصوص إفرام، نجد أن نظم القنطاق اليوناني يختلف قليلاً عن النظم عند إفرام السرياني من حيث أنه حرٌّ أكثر. فبينما التزم إفرام كلياً بتساوي المقاطع بين شطرٍ وشطرٍ، نجد في اللغة اليونانية تساوي المقاطع وأيضاً في مركز الشدّة في اللفظ. ولكن هذا يختلف بحسب رقم البيت من مقطعٍ شعريٍّ إلى مقطعٍ شعريٍّ آخر في اللغة اليونانية. لا شك أن هناك علاقةً بين أناشيد إفرام السرياني وتساويح رومانوس المرتّم بشكلٍ أو بآخر. لم تقدّم المقارنة بين المرتّمين نتائج عظيمة، ولربّما التشابه يتعلّق أكثر بالمعاني والصور أكثر ممّا يعود إلى النظم، فالواحد كتب بالسريانية والآخر باليونانية.

### "إفرام (اليوناني)"

نقصد بعبارة "إفرام (اليوناني)" مجموعة من النصوص اليونانية التي ظهرت أنّها ترجماتٌ لأعمالٍ لإفرام ولكنّ الأبحاث أظهرت ما يلي:

أولاً: إنّ الترجمات اللاتينية والأرمنية والجيورجية والقبطية والآرامية والعربية والإثيوبية والصربية تُرجمت عن هذه النصوص اليونانية العائدة لمجموعة "إفرام (اليوناني)".

ثانياً: إنّ ثلاثة نصوصٍ يونانيةٍ من هذه المجموعة فقط تعود إلى نصوصٍ أصليةٍ سريانيةٍ لإفرام.

ثالثاً: إنّ أغلب مجموعة "إفرام (اليوناني)" هي نصوصٌ منحولةٌ بشكلٍ واضحٍ، بينما مجموعةٌ صغيرةٌ أخرى منها دخلت عليها إضافات في النصّ اليوناني غير موجودةٍ في النصوص السريانية.

رابعاً: إنّ عملية وضع جدولٍ لهذه النصوص مع ما يوازيها في الأصل السرياني هي مسألةٌ صعبةٌ جداً وقد تكون مستحيلة.

خامساً: إنّ مسألة "إفرام (اليوناني)" تزداد تعقيداً لأننا نجهل كتاب هذه النصوص المنحولة وهم جماعةٌ موهوبة قد عملوا مثلاً على إيجاد نصوصٍ بناءً على نصوص إفرام وتعمّدوا في هذه المحاولة الحفاظ على الشكل الشعريّ كتساوي المقاطع التي عند إفرام. وما يزيد الأمر تعقيداً أكثر هو أنّ مجموعةً كبيرةً من كتاب هذه النصوص المسماة بإفرام اليوناني قد استوحت فقط بعض الأفكار من أعمال إفرام ولهجته وكتبت نصوصاً مستقلةً كلياً وقبل أن يعمدوا إلى نشرها تحت اسم إفرام.

سادساً: إنّ التعلّق بأعمال إفرام السريانيّ كبيرٌ في العالم اليونانيّ والبيزنطيّ، خاصّة في الأديار. وقد ساعد هذا الجوّ في إمكانية دخول نصوص باسم إفرام السريانيّ. فمنذ القرن الرابع وحتى اليوم تُعتبر كتابات إفرام السريانيّ من أجمل الكتابات الروحية المستخدمة في الأديار البيزنطية. ويمكننا القول أنّ إفرام السريانيّ كان يُقرأ

باللغة اليونانيّة أكثر ممّا كان يُقرأ باللّغة السريانيّة ذاتها، علماً أنّه سقط في النسيان باللّغة السريانيّة منذ حوالي القرن الثامن.

### أعمال القديس باللّغة اليونانيّة

للتوضيح، سوف نقسم أعمال إفرام السريانيّ إلى عدّة فئات:

أولاً: النصوص التي جاءت بالسريانيّة وهي النصوص الأصلية.

ثانياً: النصوص التي جاءت باللّغة اليونانيّة كترجمة وهذه نقسمها إلى مايلي:

أ. نصوص يونانيّة أمينة للنصّ السريانيّ.

ب. نصوص يونانيّة مأخوذة عن ترجمات سريانيّة غير أمينة ولا تُنسب إلى إفرام.

ج. نصوص باللّغة اليونانيّة ليس لها مصدر سريانيّ، والتي ننسبها إلى "إفرام (اليونانيّ)"، وهي:

- Περὶ ἀρετῶν καὶ κακιῶν: Ass gr I 1-18 – في الفضائل والرذائل
- Ἐλεγχος αὐτοῦ καὶ ἐξομολόγησις: 18-23 – تأنيب الذات واعتراف
- Λόγος κατανυκτικός: 23-28 – مقالة خشوعيّة
- Περὶ τῶν παθῶν: 144-147 – في الأهواء
- Περὶ μετανοίας: 148-153 – في التوبة
- Λόγος κατανυκτικός: 158-161 – مقالة خشوعيّة
- Λόγος εἰς τοὺς κεκοιμημένους πατέρας: 172-175 – مقالة في آباءنا الراقدين
- Ὅτι οὐ δεῖ γελᾶν... ἀλλὰ μάλλον κλαίειν καὶ πενθεῖν εαυτοῦς: 254-258 – في أنّه ليس من المفضلّ كثرة الضحك بل بالأحرى البكاء ورثاء الذات
- Μακαρισμοί. Κεφάλαια NE': 282-292 – التطويبات
- Μακαρισμοί ἕτεροι. Κεφάλαια K': 292-299 – التطويبات، نصّ آخر
- Εἰς τὸν πάγκαλον Ἰωσήφ: Ass gr II 21-41 – في يوسف العفيف
- Περὶ ὀρθοῦ βίου: 56-72 – في الحياة الفاضلة
- Εγκώμιον εἰς τοὺς Τεσσαράκοντα μάρτυρας: 341-356 – مديح في الشهداء الأربعين

- Ερωτήσεις και αποκρίσεις: 377-393 – أسئلة وإجابات
- Περί παρθενίας: Ass gr III 74-79 – في البتولية
- Περί μετανοίας: 79-81, 81-150 – في التوبة
- Περί του σημείου του Σταυρού του μέλλοντος φανήναι εν τω ουρανώ: 144-148 – في إشارة الصليب التي ستظهر في المستقبل في السماء
- Περί κρίσεως και αναστάσεως: 148-150 – في الدينونة والقيامة
- Περί αποταγής ερωτήσεις E': 215-219 – أسئلة في الزهد
- Περί πανοπλίας προς τους μοναχούς: 219-234 – رسالة إلى الرهبان في الفضائل
- Εις Ηλίαν τον Προφήτην: 240-243 (and Mercati 201-223) – في إيليا النبي
- Λόγος περί του πάθους του Σωτήρος: 244-248 – في آلام المسيح
- Εγκώμιον εις Μάρτυρας: 248-254 – مديح للشهداء

د. نصوص يونانية غير أكيدة:

- Εις δευτέραν παρουσίαν του Κυρίου...: Ass gr I 167-171 – في المجيء الثاني للرب
- Περί φόβου ψυχών: 183-187 – في خوف النفوس
- Περί ψυχής όταν πειράζεται υπό του εχθρού: 193-198 – في حالة النفس عندما تُجرَّب من العدو
- Περί μακαρισμών και ταλανισμών: Ass gr II 334-335 – في التطويات واللعنات
- Το «δύο έσονται εν τω αγρώ»: Ass gr III 23-24 – في الآية "يكون اثنان في الحقل"
- Περί θείας χάριτος: 42-47 – في النعمة الإلهية
- Κατήχησις περί εργασίας αγαθών έργων: 396 – تعليم في عمل الأعمال الصالحة

## الترجمات إلى اليونانية

### ١. تلك التي مصدرها سرياني أصلي:

- Εἰς τὸν προφήτην Ἰωνάν καὶ περὶ μετανοίας Νινευϊτῶν: D. Hemmerdinger-Iliadou, MU 80 (1967) 54-74. Ass syr II 359-387  
- في النبيّ يونان وفي توبة أهل نينوى
- Εἰς τοὺς ὁμολογητὰς καὶ τοὺς μάρτυρες (ὕμνος 4ος): Ass gr I 47-48. Lamy III 668, 670, 672  
- في المعترفين والشهداء

### ٢. نصوص يونانية غير أكيدة نسبتها إلى المصدر السرياني، أو صحّة المصدر السرياني غير مؤكّدة:

- Λόγος ἀσκητικὸς: Ass gr I 40-70. Επεξεργασία του συρ. «Περὶ ἰκεσίας» (Lamy 335-361) καὶ ἄλλων κειμένων. Περιέχει καὶ τὸν ὕμνο 2 «Εἰς τοὺς ὁμολογητὰς καὶ τοὺς μάρτυρας» (Ass gr I 47-48)  
- مقالات نسكية
- Λόγοι τρεῖς εἰς τὴν δευτέραν παρουσίαν...: Ass gr II 192-230, 247-258. Lamy 180-212, 304, 325  
- ثلاث مقالات في الجيء الثاني
- Διαθήκη (τοῦ Εφραΐμ): Ass gr II 230-247: CSCO 334, σσ. 43-69/ 335, σσ. 53-80.  
- العُهدَة (وصية إفرام)
- Περὶ γλωσσαλγίας καὶ παθῶν: Ass gr II 279-289. Εἶναι μετάφραση με προσθαφαιρέσεις τοῦ συρ. «Περὶ ἰκεσίας»: Lamy IV 312-356  
- في كثرة الكلام والأهواء
- Εἰς τὴν γυναῖκα τὴν ἀμαρτωλὸν: Ass gr II 297-306. CSCO 311/syr 134, σσ.78-87  
- في المرأة الخاطئة
- Πρὸς τοὺς ζητούντας τοῦ Υἱοῦ τὴν φύσιν: Ass gr III 418-424. Εξαρτάται ἀπὸ τοὺς ὕμνους «Περὶ πίστεως»: CSCO 154/syr 73, σσ.9 and 33  
- في الباحثين عن طبيعة الابن
- Περὶ τοῦ ληστοῦ: AB 85 (1967) 433-439  
- في اللصّ
- Λόγος εἰς τὸν Ἀβραάμ καὶ τὸν Ἰσαάκ: S. I. Mercati, S. Ephraem Syri Opera, I 1, Roma 1915, σσ. 107-111  
- مقالة في ابراهيم واسحق
- Λόγος εἰς τὸν Σταυρόν καὶ περὶ μετανοίας καὶ εἰς τὴν δευτέραν παρουσίαν: Β. Ψευτογκά, Αἱ περὶ Σταυροῦ καὶ Πάθους τοῦ Κυρίου ομιλία...,  
- مقالة في الصليب والتوبة والجيء الثاني

Θεσσαλονίκη 1975, σσ. 202-216

- Λόγος εις τον Σταυρόν και εις την δευτέραν παρουσίαν και περί αγάπης και ελεημοσύνης: Ass gr II 247-258
  - Λόγος έτερος εις τους κεκοιμημένους πατέρας: Ass gr I 175-180
  - Λόγος περί κατανύξεως: Ass gr I 154-158
  - Λόγος εις την Μεταμόρφωσιν: Ass gr II 41-49
  - Ομιλία εις την πόρνην: Ass gr III 385-395. Lamy I 313-338
  - Έλεγχος αυτού και εξομολόγησις: Ass gr I 119-144
- مقالة في الصليب والمحيي الثاني والمحبة والإحسان
  - مقالة أخرى في آباءنا الراقدين
  - مقالة في الخشوع
  - مقالة في التجلي
  - مقالة في المرأة الزانية
  - توبيخ الذات واعتراف

### المراجع العربية

القديس إفرام السريانيّ، مقالات روحية وخشوعية، تعريب الأب إفرام كريكوس، منشورات التراث الآبائي، دير مار مخائيل، بسكتنا، لبنان ٢٠٠٤.  
مؤلفات مار إفرام السريانيّ، الجزء ١، أناشيد الميلاد، ترجمها وقدم لها الأب يشوع الخوري م.ل.، منشورات كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ١٩٩٤.

### المراجع الأجنبية

- Altaner, Berthold – Sniber, Alfred, Patrologie, Wien 1966.
- Amar, J. P., Byzantine Ascetic Monachism and Greek Bias in the Tradition of Ephrem the Syrian, OCP, t.58 (1992), pp.123-56.
- Beck, Edmond, EPHREM LE SYRIEN (SAINT), 1. Vie et personnalité – 2. Œuvres – 3. Doctrine Spirituelle, Dictionnaire de Spiritualité, t.IV, partie première, paris 1960.
- Brock, Sebastian, St Ephrem the Syrian, Hymns on Paradise, SVS Press, N.Y. 1998.
- Brock, Sebastian, Studies in Syriac Christianity, Variorum, Great Britain 1992.
- Brock, Sebastian, Syriac Perspective on Late Antiquity, Variorum Reprints, London 1984.
- Bundy, David D., Language and Knowledge of God in Ephrem Syrus, PBR 5 (1986).
- Danielou, Jean, Metempsychosis In Gregory of Nyssa, OCA, 195 (1973).
- De Halleux, André, Mar Ephrem Théologien, XVI-CSE, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban 1973, pp.35-54.
- Graffin, François, Introduction et Notes, Ephrem de Nisibe, Hymnes sur le Paradis, Traduction René Lavenant, SC 137, Ed. du Cerf, Paris 1986
- Geerad, M., Clavis Patrum Graecorum, Vol.II, Brepols-Turnhout 1974.

- Hemmerdinger-Ηλιάδου, Δημοκρατίας, *Commetarii Breviores*, les doublets de l'édition de l'Ephrem grec par Assemani, *Orientalia Christiana Periodica*, Vol. XXIV (1958), issue no.3-4, pp.371-82.
- Hemmerdinger-Ηλιάδου, Δημοκρατίας, EPHREM, (LES VERSIONS) I. Ephrem grec – II. Ephrem latin – III. Autres versions, DS, t.IV, partie première, Paris 1960.
- Ηλιάδου, Ephrem, *Version Grecque, Latine et Slave*, EEBΣ, τ.42 (1975).
- Khalifé, P. Elie, *Εφραίμ ο Σύρος*, (not published).
- Kirchmeyer, Jean, *Autres versions d'Ephrem*, *Dictionnaire de Spiritualité*, t.IV, partie première, paris 1960.
- Κοντογόνου, Κωνσταντίνου, *Φιλολογική και κριτική ιστορία των αγίων της Εκκλησίας Πατέρων*, τ.2, Αθήναι 1906.
- Κορναράκη, Ιωάννου, *Πατερικά Βιώματα της ενδεκάτης ώρας*, Θεσσαλονίκη 1971.
- Κωνσταντίνου, Γ. Φραντζολά, *Εισαγωγή κειμένων του οσίου Εφραίμ του Συρού*, τ.Α΄, Θεσσαλονίκη 21995.
- Leloir, Louis, *Doctrines et Méthodes de St Ephrem*, CSCO, t.220, Louvain, 1961.
- Leloir, Louis, *Introduction, Traduction et Notes, Ephrem de Nisibie, Commentaire de l'Evangile Concordant ou Diatessaron*, SC 121, Ed. du Cerf, Paris 1966.
- Leloir, Louis, *L'actualité du Message d'Ephrem*, XVI-CSE, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban 1973, pp.55-72.
- Leloir, Louis, *La pensée Monastique d'Ephrem et Martyrius*
- McVey, Kathleen E., *Translation & Introduction, Ephrem the Syrian*, Preface by John Meyendorff, Paulist Press, N.Y. 1989.
- Meyendorff, John Pref., *Ephrem the Syrian, translation & introduction Kathleen E. McVey*, Paulist Press, N.Y. 1989.
- Μπαλάνου, Δ. Σ., *Οι Πατέρες και συγγραφείς της αρχαίας Εκκλησίας*, εν Αθήναις 1960.
- Murray, Robert, *Catholic Dictionary of Theology*, ed. J.H. Crehair, London 1967.

- Outtier, Dom B., *Saint Ephrem d'après ses Biographes et ses oeuvres*, XVI-CSE, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban 1973, pp.11-34.
- Παντελάκη, Ε. Γ., «Εφραίμ ο Σύρος», ΜΕΕ, τ.11.
- Παπαδόπουλου, Στυλιανού, «Εφραίμ ο Σύρος», ΘΗΕ, τ.5, Αθήναι 1964.
- Παπαδοπούλου, Στυλιανού, *Πατρολογία Β'*, Αθήνα 1990.
- Σεραφείμ Μοναχού, Γρηγορίου Νύσσης, *Εφραίμ ο Σύρος, Εισαγωγή-Κείμενα – Μετάφραση-Σχόλια*, έκδ. Ι. Μ. Παρακλήτου, Ωρωπός Αττικής, 1970.
- Stephan, Kamil, *Το Μυστήριο της σωτηρίας, Σπουδή στα φερόμενα ως έργα του οσίου Εφραίμ του Σύρου στα Ελληνικά*, Θεσσαλονίκη 2005 (not published).
- Tomadakis, N. B., *Εφραίμ ο Σύρος εν τη Ελληνική Υμνογραφία*, *Silloge Bizantina*, Roma 1957.
- Vööbus, A., *History of Ascetism in the Syrian Orient*, Vol.2, Louvain 1960.
- Vööbus, A., *History of the school of Ninibis*, CSCO, Louvain 1965.
- Vööbus, A., *Literary Critical and Historical Studies in Ephrem the Syrian*, Stockholm 1958.
- Vööbus, A., *Untersuchungen über die Authentizität einiger asketischer Texte überliefert unter dem Namen Ephraem Syrus*, Pineberg 1947.
- Χρήστου, Παναγιώτου, *Εκκλησιαστική Γραμματολογία*, τ.Α', Θεσσαλονίκη 1984.
- Φιλαρέτου, Αρχιεπισκόπου Τερνικόβου, *Ιστορική Διδασκαλία περί των Πατέρων της Εκκλησίας, Μετάφραση Νεοφύτου Παγίδα, Αρχιμ., τ.2, εν Ιεροσολύμοις* 1886.
- Φούσκα, Πρωτοπρεσβυτέρου Κωνσταντίνου Μ., «Θεηγόροι Οπλιταί», *Οι πατέρες και εκκλησιαστική συγγραφείς από του 325-750 μ.Χ.*, Αθήναι 1975.
- The Syriac Fathers on Prayer and the Spiritual Life, Translation & Introduction* Sebastian Brock, Cistercian Publications Inc., Kalamazoo, Michigan 1987.